

امارة حمولة

المكان ، الزمان ، السند ، الامارة

مظاهر الامارة

مكان الامارة : هو بلدة « بادس » ، وقد عتني طول البحث عنها منذ أواخر سنة ١٩٥٥ أيام خضرت بنص معايدة بين البندقية وبادس موقعها بإمضاء أميرها .

وافترست من بادس في رحلة كنت بها مع الملك محمد الخامس ملك المغرب السابق عليه رحمات الله ، وبلغنا « الحسيمة » في ريف المغرب الأقصى ، ولم أكن أدرى أن بادس التي أبحث عنها كانت على مقربة من الحسيمة ، وعدت من تلك الرحلة ولم يقع لي أن أراها أو أرى موضعها .

وواجهني من أعلمي بعد ذلك أن على شاطئه البحر الأبيض المتوسط ، بين « سبتة » و « مليلية » جزيرة صغيرة اتصلت مؤخراً بالبر المغربي ، فأصبحت شبه جزيرة ، وأنها كانت تسمى « حجيرة بادس » أو « حجر بادس » أو « حصن بادس » لقربها من بلدة بادس المغربية ، التي هي موضوع بحثي . وقرأت في كتاب « المغرب » (١) ، أن بادس مدينة تاريخية من المدن المؤسسة في القرن الأول لفتح الإسلامي لعب دوراً خطيراً في تاريخ المغرب ،

(١) تصدق بن العربي ص ٦٥ .

وقد اندثرت الآن ولم يبق منها شيء غير الاسم ، قال : وموقها على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، أمام الجزيرة المعروفة بنفس الاسم ، وفي الطريق بين سبتة ومليلة .

وفي تاريخ تطوان (١) : بادس ، جزيرة أو شبه جزيرة على البحر الأبيض المتوسط ، هي الآن في يد الإسبان .

وفي الدليل الأزرق المغرب (٢) ما ترجمه :

على الشاطئ المغربي بين مدينتي سبتة ومليلة الاسبانيتين أمام قرية « الفميرة » *Penion de velez de la gomera* المسمى بالاسبانية بنيون دوفيليز دولا قرية *Parientina* بارينتينا تقع بلدة بادس وهي قرية صغيرة على نهر يدعى باسمها ، كان الرومان يسمونها بارينتينا *Parientina* وكان اثنان منها شأن في القرون الوسطى ، في مواصلات فاس ، الخارجية ، وأهمل الميناء بعد استقرار الإسبان في القميرة .

ونكرر ورود ذكرها في تاريخ المغرب القديم :

١ - أمر عبد المؤمن سنة ٥٥٧ هـ ، بإنشاء الأسطبل ، فكان منها بطنجة وسبتة وبادس ومرامي الريف مائة قطعة (٣) .

٢ - وفي سنة ٦٠١ هـ بني عامل الريف ، من قبل الناصر ، وأمه « بعيش » سور بادس ومليلة ومليلة ، حياطة من فجأة المدود (٤) .

٣ - وأمر السلطان يعقوب بناء سور على بادس منها السفن ودخل العبور من بلاد غمارة سنة ٦٧٤ هـ (٥) .

(١) الأستاذ محمد داود ٦ : ٤٤٥ .

(٢) Guide Bleu Maroc الطبعة الثانية ١٩٤٥ م ٤٩٦ .

(٣) الاستئناف ، الطبعة الثانية ٢ : ١٢٨ .

(٤) المصدر نفسه ٢ : ١٩٥ .

(٥) أيضاً ٣ : ٤٢ .

٤ - وفي سنة ٦٧٨هـ ، قدم من بادس وسلا وآنفي خمسة عشر أسطولاً انضم إلى بقية الأسطول في مرفأ سبتة (١) .

٥ - وفي سنة ٧٦٠هـ ، ظهر السلطان أبو سالم بجبل غماره وفر منصور ابن سليمان إلى بادس ، فقبض عليه ، وجيء به إلى السلطان أبي سالم فقتلته (٢) .

٦ - وبادس (في القرن السادس للهجرة) مدينة متحضره ، فيها أسواق وصناعات فلائلاً ، وغماره يلتجأون إليها في حوالتهم . وهي آخر بلاد غماره (٣) .

٧ - وأخرجت عليه ، منهم عبد الحق بن اعمائيل البادي ، مصنف « الفهد الشريف » في صلحاء الريف » رأيت خطوطه منه في خزانة الرباط (المجموع ١٤١٩هـ) فرغ من تأليفه سنة ٧١١هـ . وانظر مجلة الجمع العلمي العربي ١٢ : ٦٠

الزمان

زمن البحث في الامارة المبهرة هو ، القرن العاشر للهجرة ، والخامس عشر إلى أوائل السادس عشر لميلاده .

السند

وستد البحث : معاشرة عُرفات يوم ١٩ رمضان سنة ٩١٣هـ المؤافق ٢١ يناير ١٥٠٨ بين الأمير منصور بن يوسف ، والقسطنطيني لوثر زيمان البندقي ، في بلدة بادس .

(١) الاستئناف ، الطبعة الثانية ٣ : ٥٢ .

(٢) أهذا ٤ : ٧ .

(٣) الشريف الاذريسي ، في نزهة المشتاق كما في الحل التفصية ١ : ٦٨ .

وكان قد اتفق لي الاطلاع على الأصل الفريد لهذه المعاهدة ، بينما كنت أقليب أصابعه ، الأركب فهو ، الأربع عشرة ، في البندقة ، وما فيها من رسائل ووثائق واردة عليها من بعض ملوك الغرب وسلطان مصر ، والدولة العثمانية .

نص المعاهدة

الحمد لله وحده ، هذه معاهدة وشروط عقدها القبطان الكبير في قومه ، العزيز بين أبناء جنسه الحبيب لأصل لورز زمان هداء الله ، بهذه وبيان الأمير العظيم الأسمد الأئمدة أبي علي منصور بن يوسف كان الله له ، وأصلح قوله وعمله ، وكانت المعاهدة بينهم في حين وصول القبطان إلى مرسى مدينة بادس أنهاها الله .

الأول — أول المعاهدة والشروط أن الصلح منعقد بين المسلمين من أهل بادس وعملها ، وبين الصارى من البندقة وعملها ، من يوم تاريخ هذه المعاهدة ، طول ما يقوى يثوا ويحروا بادس من الآن لقدام إن شاء الله .

الثاني — العقد الثاني إن كل جفن يحيى ، من نجح علام الشهيرية من أرض البندقة فإنه ينزل في مدينة بادس أنها الله ، مؤمناً في نفسه وبماله على هذه المعاهدة التي عقدها القبطان مع الأمير أبده الله ، من غير زيادة ولا نقصان إن شاء الله .

الثالث — العقد الثالث ألا: بأسر أحد من البندقة أحداً من أهل بادس وعملها ، ولا بأسر أحد من أهل بادس أحداً من البندقة وعملها ،

من بعد هذه المعايدة . ومهما ظهر أسيء عند كلي الغريقين فإنه يحرر من الأسر في الساعة التي يرى فيها إن شاء الله .

الرابع — الرابع لا يؤخذ أحد بذنب أحد . مثل أن يكون لسلم دين على نصراني بندقي مما مفى من سالف الأعوام ، ويريد المسلم أن يجس في أحداً من البنادقة ، فإن ذلك لا يكون إن شاء الله .

الخامس — العقد الخامس إذا جاء تاجر نصراني بندقي في جفن من أجنان التصاري غير أجنان البنادقة فإن مأمتنه ^{ومنقرمه} يكون على ما في هذه المعايدة من غير زيادة ولا نقصان بعون الله .

السادس — العقد السادس إذا هال البحر على الطرائد في مرسى بادس ، أو دهمهم عدو أو تكسر لهم سفينة واحتاجوا إلى التزول في البر فإنهم مؤمنين (كذا) في أنفسهم وفي أموالهم بعون الله .

العقد السابع إن تجأر البنادقة ينزلوا بسلام في مدينة بادس أنها الله يبيعون ويشرعون على أنهم إذا باعوا شيئاً لسلم بعثة دينار (دينار) ذهباً فانهم لا يفارقون السلم المشترى حتى يحملونه ، لأن المشترى يغريم على مشتراك عثراً غير ربع وذالك سبعة ذهب ونصف من كل مائة ، فإن فرط النصراني ^{البائع في المشترى} فإنه يغريم بدلاً منه سبعة ونصفاً من كل مائة إن شاء الله .

السابع — العقد السابع إن جمِيع ما يشترونه من القمح والدقيق واللحىز وغير ذالك من الفواكه والخُضُر فانهم يرثون ذالك للطرائد بغير مغنم بالرغم على ما ذكر بعون الله .

الثامن — العقد الثامن أن الورقي (؟) الذي في طريدة القبطان إذا بيع سلعة بعاتي ذهب التي تجبر عليه فيها خمسة عشر ديناراً ذهباً فانه يحرر ولا يتغريم منها قليلاً ولا كثيراً إن شاء الله . وكذلك رئيس كل طريدة وهو رئيس في كل طريدة فانه يحرر له من مغره الذي يبيع به سلعته سبعة دينار ونصف دينار ، ولا يُزاد عليها ولا ينقص بعون الله .

العقد التاسع ، إذا هرب إلى الغارائد أسير نصراً من بادس وعملها فانهم يُنذرون لصاحبه ، وإن حملوه معهم وينخرجوه في أرض النصارى وبطقوه فانهم إذا جاءوا العام آخر مجس فيه واحد منهم إن شاء الله .

على جميع ما ذكر من المعاهدة والشروط توافق الأمير أبو علي منصور أعز الله أيامه مع القبطان الحبيب يورزير مان البندق أذكره الله ، وكتب جميع ما ذكر يليها محمد بن أحمد الرزباني وفقه الله يوم السبت التاسع عشر من شهر رمضان المظام عام ثلاثة عشر وسبعين وفي اليوم الحادي والشرين من شهر ينتير المجهجي الذي من عام الف وخمسمائة وثمانين وأعوام .

اللهم إله العزة لا إله إلا أنت ناصر الضعفاء
وَعَلَّمَ الظَّلَمَاءَ قَبْلَ تَطْهِيرِهِ فَلَا تَحْمِلْنَا مَعْذِلَةَ
وَلَا تُسْمِنْنَا بُخْرَةَ إِذَا فَرَّتِ الظَّنَّا
لِغَلَقِ الْأَخْرَى بِحَبْدَمْ بِعْدَ إِذْ مَهْرَبْنَا إِذْنَهُ الْمَوْهُ
عَلَى حَبْلِكَمْ مَا ذَرْتَ جَرْمَ الْمَعْلَمَةِ وَالْمَعْرِفَةِ وَلَا تُؤْمِنْنَا بِمَا يَمْسِرُ
الْوَعْدُ بِهِ بِصَفْوَرْ عَنِ اللَّهِ أَبْتَأْمَهُ مَعَ الْجَهْنَمِ الْمُتَسْبِبِ
الْجَهْنَمُ مَذَلَّ الْفَجْدَ مِنْهُ حَرَقَهُ اللَّهُ وَكَنْبَسَ سَعْدَ مَا تَحْمِلُ
بِسَهْلَهُ مَمْهُلَهُ أَجْهَلَهُ أَذْهَلَهُ وَجَهَهُ اللَّهُ سُونَ الْفَجْدَ الْمَذَلَّهُ
سَهْلَهُ سَهْلَهُ وَهُدَى الْمَعْلَمَهُ سَهْلَهُ لِلَّهِ كَفَرَهُ وَسَهْلَهُ
وَبَى الْمَنَى الْمَكْفُورَ الْمَعْرِفَهُ سَهْلَهُ لِلَّهِ كَفَرَهُ وَسَهْلَهُ
الْمَعْلَمَهُ سَهْلَهُ وَبَى الْمَنَى الْمَعْلَمَهُ سَهْلَهُ

صورة فوتوغرافية عن نهر نهر العاشر

الإمارة

ليس فيها وقت عليه من ثوار بعث المغرب أي ذكر لامارة في بادس ، تولاها أو قلم بها أمير يدعى منصور بن يوسف ، ولم يكأن مستقلاً غير تابع لإحدى دولي عصره : الوطّاسية التّربينية ، ودولة بني الأحمر ، وإلا لئن فاته أن يشير في بدء المعاهدة ، أو خاتمها إلى الدولة التي هو من عمالها .

ويملاحظ في السطر الرابع من الصفحة الأولى من نص المعاهدة ، فراغ كان قد تركه الكاتب لاسم الأمير منصور ، وملأه هو بخطه على طريقة سلاطين المغرب في تحليمة رسائلهم بتوقيعاتهم في أعلى الرسائل ، وانفرد هذا بداخل اسمه في صلب الفقرة الأولى من المعاهدة .

نعم ، هل هناك أكثر من الشابه في الأسماء ، عندما نجد في تاريخ المغرب كثيراً من الوطّاسيين اسمه ، يوسف بن منصور (بن زيتان الوطّاسي) قد قولي خلع سلطان فاس أبي عبد الله الحفييد سنة ٨٧٥ / ١٤٧٠ م ، أم يذهب بنا الحدس إلى أن منصور بن يوسف صاحب معاهدة بادس ، سنة ٩١٣ / ١٥٠٨ م ، هو ابن يوسف بن منصور بن زيتان ؟ فتكون الإمارة « وطّاسية » بلحق ما يمكن أن يعرف عنها بتاريخ الوطّاسيين . هذا خاطر يسع عند محاولة التعرف إلى نسب منصور وأولئك ، لا يدخل في صميم موضوع « الإمارة » .

أما مادة الرابع للبلدة بادس ، بعد زمن المعاهدة ، فنوفرة ، وأهم ما يتعلّق بحثنا منها ، أن الإسبان احتلوا جزيرة بادس في ٢٣ يوليوز ١٥٠٨ م

٢٣٣ صفر ٩١٤هـ أي بعد زهاء سبعة أشهر من توقيع المعاهدة ، وأورد صديقنا محمد بن تاولت النطاواني^(١) نصوصاً مفيدة للأحداث وفت في بادس وما حولها في بعض أعوام ١٥٦٤ - ١٥٦٢هـ (٩٢٢ - ٩٧١هـ) لم أجد فيها ما يسعفي في كشف حقيقة «إمارة منصور بن يوسف» ، إلى أن يظهر عنها من نشوئها وملتها ، وعلاقتها بتجارتها ، مالا يزال فيها أحسب ، في علم الغيب .

زويلي بيروت :

خير الدين الزركلي



(١) في مجمع نظوان : المدد ٥ الصفحة ١١٦